مجلّة الذخيرة للبحوث و الدراسات الإسلامية المجلد الثاني العدد الأول (جوان 2018 م)
قسم العلوم الإسلامية / جامعة غرداية
E-ISSN: 2588-1728 / P-ISSN: 2602-7518
http://eddakhira.univ-ghardaia.dz



المسيح عليه السلام في إنجيل يوحنا

دراسة نقدية مقارنة مع القرآن الكريم

د. إسماعيل صديق عثمان إسماعيل
جامعة بحري / السودان
dr.ismailsiddig@gmail.com

ملخص

يضفي إنجيل يوحنا على عيسى ابن مريم عليه السلام الألوهية، ويتحدث عن كونه ابن الله، وقد انفرد بذلك دون الأناجيل الأخرى ، ولم يتحدث عن المسيح كإنسان بل كابن الله الوحيد، ووصفه بأنه نور العالم ؛لأنه يهب عطية الحياة الأبدية لكل من يؤمن به، فهو الكلمة وهو النور والراعي والطريق والحياة والديان، وقد دارت افتتاحية هذا الإنجيل حول الكلمة واللوغوس(Logos)، في فلسفة تجعل عيسى عليه السلام كأنه الله أو هو الله ، ويلاحظ أن مقدمته تجعل من الكلمة تتوازى بالتناقض، فهو يذهب إلي أن الكلمة كان عند الله وكان الكلمة هو الله ، في الدراسة بيان أهم وجوه الاتفاق والاختلاف بين إنجيل يوحنا والقرآن الكريم في المسيح عليه السلام وولادته ورسالته ورفعه، وهل هو إله أم بشر رسول ؟ وقد أولى القرآن الكريم أهمية خاصة بالحوار مع أهل الكتاب، وحفل القرآن بمحاورتهم في سور كثيرة، كما أمر بمجادلتهم وحوارهم. يحاول البحث تبيين موقف الإسلام ونظرته للمسيح مقارنة بما ورد في إنجيل يوحنا.

الكلمات المفتاحية: إنجيل يوحنا، المسيح (عليه السلام)، النصرانية.

Abstract

The Gospel of John confers upon Jesus the Son of Mary، the Divine God He talks about being the Son of God، He did so without the other gospels، He did not speak of Christ as a man but as the only Son of God And described it as the light of the world Because he gives the gift of eternal life to all who believe in it، He is the Word، the Light، the Shepherd، the Way، the Life and the Religions، The opening of this gospel centered around the word Logos، In a philosophy that makes Jesus peace be upon him as if he is God or God، And his introduction makes the word parallel in contradiction، He goes to me that the Word was with God and the Word was God، In the study، the most important aspects of the agreement and the difference between the Gospel of John and the Holy Quran in Christ، peace be upon him، his birth، Is he a god or a messenger

key words :Christianity. Gospel of John، Christ (peace be upon him)

مقدمة:

سيستقصي الباحث في هذه الدراسة نشأة وتدوين إنجيل يوحنا، وموقف الفرق النصرانية منه، وسيحاول إظهار حقيقته من خلال مؤلفات النصارى وتفاسيرهم للإنجيل، ولن يتوسع في المسائل التي ليس لها تعلق كبير بالموضوع، كما سيقف علي معتقدات النصارى الحالية في عيسى عليه السلام من خلال إنجيل يوحنا، وسيبين نظرة الإسلام للمسيح وبعثته ودعوته ونهاية أمره حتى نزوله وموته آخر الزمان. فإنجيل بوحنا يتحدث عن عيسى عليه السلام كإله وعن كونه ابن الله، وقد انفرد بذلك دون الأناجيل الأخرى ، وتتجلى إشكالية الموضوع في أن يوحنا لم يتحدث عن المسيح كإنسان، ووصفه بأنه نور العالم ؛لأنه يهب عطية الحياة الأبدية لكل من يؤمن به، فهو الكلمة وهو النور والراعي والطريق والحياة والديان، وقد دارت افتتاحية هذا الإنجيل حول الكلمة واللوغوس (Logos)، في فلسفة تجعل عيسى عليه السلام كأنه الله أو هو الله ، ويلاحظ أن مقدمته تجعل من الكلمة تتوازى بالتناقض، فهو يذهب إلي أن الكلمة كان عند الله وكان الكلمة هو الله ، ومن أهداف هذا البحث الوقوف على أسباب ومكان تأليف إنجيل يوحنا ومن هو مؤلفه ؟ فهناك جدل كبير حول نسبة هذا الإنجيل إلى كاتبه كما أن فيه بيان أهم وجوه الاتفاق والاختلاف بين إنجيل يوحنا والقرآن الكريم في المسيح عليه السلام وولادته ورسالته ورفعه، وهل هو إله أم بشر رسول؟ وقد أولى القرآن الكريم أهمية خاصة بالحوار مع أهل الكتاب، وحفل القرآن بمحاورتهم في سور كثيرة، كما أمر بمجادلتهم وحوارهم. يحاول البحث تبيين موقف الإسلام ونظرته للمسيح مقارنة بما ورد في إنجيل يوحنا. وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال أسلوبي الاستنباط والاستقراء.

المبحث الأول: إنجيل يوحنا نشأته وتدوينه وموقف الفرق النصرانية منه

المطلب الأول : نبذة عن كاتب الإنجيل.

الحواري يوحنا : (يوحنا) هو يوحنا بن زبدي أحد تلاميذ المسيح الإثني عشر وقد عاش حياة أطول من حياة كل التلاميذ الأثني عشر لأنهم جميعاً ماتوا قبله، ويقال إن أباه زبدي كان يشتغل بصيد الأسماك، وأمه سالومة، وأخوه يعقوب، ودعاهما المسيح عليه السلام ليتبعاه فتبعاه، وكان المسيح يلقبهما (ابني الرعد)، وكان يوحنا قبل انضمامه إلى تلاميذ المسيح من تلاميذ يوحنا المعدان (يحيى بني زكريا) وكانت إقامته بعد المسيح في أورشليم وكان يدعو الناس بدعوة المسيح في الكنيسة، ثم انتقل بعد ذلك إلى مدينة أفسس متابعاً ومكملاً عمل بولس وقد نفي في الاضطهاد الذي حدث في حكم الإمبراطور (دوميتانوس) إلى جزيرة بطمس ولم يطلق سراحه إلا بعد موت (دوميتانوس) وتولى (نيرفا) عرش الإمبراطورية سنة 96م فرجع بعدها إلى أفسس.واختلف في تاريخ وفاته والأقوال تنحصر بين سنة 98م – 117م وقد مات وقد تجاوز المائة من عمره على أرجح الأقوال[1].

ويوصف يوحنا بأنه من كبار الحواريين الإثنا عشر وأن أباه من السابقين الأولين إلى المسيحية ومن كبار دعاتها، أما أمه فهي قديسة شهيرة وقد ورد اسمها في الأناجيل وهى قريبة مريم أم المسيح، وقد جاءت من زبدي بيوحنا وأخاه يعقوب الكبير، ويقول التاريخ المسيحي إن المسيح نفسه قد بارك هذين الأخوين لما قدمتهما إليه سألومي، فوضع أحدهما على فخذه الأيمن والأخر على فخذه الأيسر وباركهما، ويقال إن يوحنا كان أحب الحواريين إلى المسيح وأقربهم إلى قلبه، ومن ثم أطلق عليه الحواري الحبيب، حتى لقد استودعه المسيح السيدة مريم وهو فوق الصليب، وكانت مهنته صيد الأسماك كمهنة بطرس، وينسب إلى يوحنا إنجيل من الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين وهو آخرها تأليفا. ويري بعض المؤرخين ومنهم تشارلز الفريد ، وروبرت إبزلز وغيرهما: (إن يوحنا مات مشنوقاً سنة 44م على يد أغريباس

(1) د. محمد علي زهران ، انجيل يوحنا في الميزان ، دار الأرقم للنشر ، مصر، 1991م. (ص ، 90 – 91).

الأول وعليه فليس هو مؤلف هذا الإنجيل ، إذ أن هذا الإنجيل قد كتب في نهاية القرن الميلادي الأول أو أوائل الثاني)[1] وإذا اعتمدنا هذا القول فقد سبق موت يوحنا كتابه الإنجيل ويكون كاتب هذا الإنجيل مجهولا، غير أن البعض ممن يؤكدون أن يوحنا بن زبدي قد مات قبل تحقيق رغبة الكنيسة في تأليف الإنجيل، يذهبون إلى:(أن شخصاً أخر يدعي يوحنا الشيخ كان موجوداً فقام بتأليف الإنجيل مستعيناً بمذكرات يوحنا بن زبدي المكتوبة ، إلا أنه حولها عن مضمونها وحررها لتكون شهادة للإله الكلمة وكان ذلك في الربع الأول من القرن الثاني وعندما ظهر حمل الإنجيل اسم يوحنا)[2] ويرد النصارى علي هذا القول:(وقد ظن بعضهم أن كاتب هذا الإنجيل هو (يوحنا الشيخ) الذي ذكره أسقف(هيرابولس) في أوائل القرن الثاني الميلادي، ولكن من المحتمل أن يوحنا الشيخ هو نفس يوحنا الرسول)[3] والواقع أن النصوص التي تتحدث عن الشخصين تقول بالمغايرة بين هذين الرجلين وأن كل منهما شخص مختلف عن الأخر، خصوصاً أن الحقائق التاريخية تقول بوجود قبرين في أفسس كل منهما يحمل اسم قبر يوحنا.

المطلب الثاني: سبب ومكان تأليف إنجيل يوحنا

إن أسباب ومكان تأليف الإنجيل لم يختلف فيهما ولكن هناك جدل كبير حول نسبة هذا الإنجيل إلى كاتبه؛ تقول دائرة المعارف البريطانية عن إنجيل يوحنا ما يلي:(أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنان من الحواريين أحدهما للآخر وهما القديسان يوحنا ومتى ، وقد أدعى هذا الكاتب المزور في متن كتابه انه هو الحواري الذي يحبه المسيح فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها ، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري ووضعت اسمه على الكتاب نصا

---

(1) محمد ضياء الرحمن الاعظمي ، اليهودية والمسيحية ، (ص 326 – 329)، ومحمد وصفي ، المسيح (عليه السلام) بين الحقائق والأوهام ، (ص 41 ، 42) ود.منقذ بن محمود السقار ،هل العهد الجديد كلمة الله ، (ص ، 2) سلسلة النور والهدي ، عبد الفتاح حسين الزيات ، ماذا تعرف عن المسيحية ، ط3 ، مركز الراية للنشر والإعلام ، 2001م . (ص ، 77).

(2) د. محمد علي زهران ، إنجيل يوحنا في الميزان ،سابق (ص ، 139) .

(3) قاموس الكتاب المقدس ، (ص ، 1113) .

مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً)[1]، وتذهب دائرة المعارف الفرنسية نفس المذهب ولا تسلم بصحة هذه النسبة إلى يوحنا. أما الموسوعة الكاثوليكية الحديثة فتقول عن مؤلف هذا الإنجيل (تعيّين مؤلف الإنجيل الرابع مشكلة معقدة)[2] ويستند النصارى في إثبات أن يوحنا هو كاتب هذا الإنجيل على شهادة النسخ القديمة ومنها النسخة الفاتيكانية وهي أقدم النسخ وترجع إلى أوائل القرن الرابع الميلادي وهذه النسخ بالطبع لم يكتبها يوحنا بيده ، والدليل على ذلك أنها كتبت بعد موته بثلاثة قرون تقريباً ، ومثل هذه الشهادة لا تقبل إلا إذا كتبت في عصر المؤلف ووافق عليها وهذا بديهي. وقد نقل د. محمد علي زهران عن أحد علماء الكتاب المقدس الانجليزيين يدعى (إيفانسون) قوله (إن إنجيل يوحنا كتب في القرن الثاني بعد حياة الرسول يوحنا وأن الذي كتبه هو شخص اسمه يوحنا الشيخ)[3].

المطلب الثالث: حول الإنجيل وسبب كتابته:

فكرته تقوم على الفلسفة وبدأ بالكلام عن(الكلمة)،(Logos) ،ووصف فيه التجسيد الإلهي على النحو الذي يألفه اليونان ومن حضروا محافلهم ودرجوا معهم على عادات واحدة[4] وسبب كتابة هذا الإنجيل على ما يبدو من نصوصه (كان إنسان مرسل من الله أسمه يوحنا. هذا جاء للشهادة ليشهد النور لكي يؤمن الكل بواسطته)[5] فعبارة جاء للشهادة تدلنا على أن هذا الإنجيل كتب تحت دافع معين ولينصر مذهباً معينا يقول بألوهية يسوع. ومما يؤكد هذا ما جاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس :(أن الغرض من كتابة الإنجيل هو: الإثبات القاطع أن يسوع المسيح ابن الله)[6]ويقال إن يوحنا قد ألف هذا الإنجيل استجابة لطلب بعض

(1) أحمد شلبي ، المسيحية،(ص ،213) ، وأنظر : محمد بن الشريف ، الأديان في القرآن ،(ص ، 190).

(2). NewCathlicenyclopaedia، vol.p.1080

(3)د محمد على زهران،انجيل يوحنا فى الميزان ،سابق ص ،105.

(4) عباس محمود العقاد ، حياة المسيح ، (ص، 146)،

(5) إنجيل يوحنا إصحاح رقم (1 : 6 – 7).

(6) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ، (ص ، 2164).

الخدام والأساقفة وذلك لدحض بعض البدع التي شاعت، وكان بعضها ينكر ناسوت المسيح ، وبعضهم كان ينكر لاهوته ، فطلبوا منه أن يكتب إنجيلا ليثبت فيه لاهوت المسيح وناسوته ، وأنه كلمة الله التي حلت وتجسدت بينهم. والسبب الثاني : دحض ما أشاعه تلاميذ يوحنا المعمدان – يحي بن زكريا – من أن المعمدان مساوٍ للمسيح في المنزلة فكلاهما رسول من الله ، وأنه لا شيء من اللاهوت في المسيح فاهتم الكاتب يوحنا بإظهار مدى البون الشاسع بين المعمدان والمسيح وأن الأول ليس أهلاً لأن يحل سيور حذاء الثاني[1].

المطلب الرابع: زمن ومكان تدوين الإنجيل

يرى (جرانت)[2] :(أن يوحنا كان مسيحياً وبجانب ذلك كان هلينياً ، ومن المحتمل إلا يكون يهودياً ،ولكنه شرقي أو إغريقي .. ومن المحتمل أن يكون إنجيل يوحنا قد كتب في إنطاكية أو أفسس أو الإسكندرية أو حتى روما ، فإن كلا من هذه المدن كانت مركزاً عالمياً للدعاية العقائدية في القرنين الأول والثاني من الميلاد ، كما كانت على اتصال ببعضها)[3]. ويقال أنه ألفه حوالي سنة 90م على أرجح الأقوال فهو لذلك أحدث الأناجيل جميعاً ،إذ تفصله عنها مرحلة زمنية كبيرة تبلغ زهاء الثلاثين عاماً. أما لغة التدوين فقد (اتفق الباحثون على أنه ألف باليونانية)[4]، ويبدو أنه الأمر الوحيد الذي قد اتفق عليه في هذا الإنجيل. وفيما يتعلق بتحديد هوية مؤلف الإنجيل فإن موريس بوكاي يرى (أن المسألة موضع نقاش طويل وقد طرحت آراء شديدة الاختلاف في هذا الشأن)[5] وقد رأى بعض الباحثين في النصرانية أن كاتب هذا الإنجيل كان يتكلم الآرامية وان وطنه الأصلي فلسطين ، ورأى البعض الآخر إنه

---

(1) د. محمد علي زهران، إنجيل يوحنا في الميزان ، دار الأرقم للنشر ، ومصر ، 1991م. (ص ، 77).

(2) د. فردربك جرانت ، هو أستاذ للدراسات اللاهوتية في الكتاب المقدس ، بمعهد اللاهوت الاتحادي بنيويورك ، أمريكا.

(3) د. فردريك كالفتين جرانت ، الأناجيل أصلها وتطورها ، طبعة لندن. (ص ، 174 – 178) .

(4) قاموس الكتاب المقدس ، ط2 ، سابق ، (ص ، 1111).

(3) موريس بوكاي ،دراسة في الكتب المقدسة ، (ص ، 89) .

إغريقي من اليونان ينتمي إلى اليهودية ومن هؤلاء (د. فريدرك كالفتن)[1] وشخصية الكتاب ستظل محل شك واختلاف ولغة التدوين تنفي إمكان نسبته إلى المسيح (عليه السلام) الذي لم يعرف إلا لغة اليهودية وهي العبرانية.

ومن خلال الأقوال المتضاربة لا يثبت أن إنجيل يوحنا قد كتبه يوحنا الحواري ولا يعرف كاتبه الحقيقي ولعله (يوحنا الشيخ)[2] كما ذهب البعض وفي كل الأحوال لا يصح أن تنسب العصمة والقداسة لكاتب مجهول لا يعرف من يكون ولم يتفق عليه، بل يجد الباحث نفسه أمام ميدان فسيح من الاختلافات[3]، لا يسعه فيه الترجيح بدون مرجح فالاتفاق الوحيد بين الباحثين في هذا الإنجيل هو أنه قد دون باليونانية وأن سبب تأليفه هو محاولة إثبات إلوهية المسيح من قبل الأساقفة الذين يقولون بألوهية وهو سبب كاف في تقدير الباحث للقدح في قدسية هذا الكتاب لا سيما أنه الحجة الوحيدة لدى النصارى والتي يستندون عليها في التصريح بألوهية عيسى عليه السلام. ومن محققي النصارى من أنكر أن يكون كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الحواري بل يوحنا آخر لا يمت إلى الأول بصلة[4].

ولعل هذا ما يطمئن إليه خاطر الباحث وأنه الصواب حيث يعتقد الباحث أن يوحنا الحواري قد شهد الله له بالإيمان مع بقية الحواريين الذين أشهدوا الله تعالى على إيمانهم الصادق، فلا يمكن بل يستحيل بحال من الأحوال أن يقوم أحدهم بعد ذلك

---

(1) د. فريدرك كالفتين ، الأناجيل أصلها وتطورها ، (ص ، 174 – 178).

(2) يوحنا الشيخ : هو الذي أختاره الوالي (فتاليوس) عام 37م ، ليكون رئيس الكهنة ، وقاد بعد ذلك أحد الجيوش اليهودية الخمسة أبان ثورة 66هـ ، أنظر :أثناسيوس ، دراسات في انجيل يوحنا ،(ص ، 15).

(3) تشمل هذه الاختلافات تاريخ التدوين فمن قائل انه كتبه حوالي 85م و يذهب آخرون إلى 90م ويقول البعض أنه كتب عام0 7م بعد خراب أورشليم وقبل نفي يوحنا إلى جزيرة بطمس وهكذا تواريخ جزافية وخبط عشواء حتى أن البعض ذهب إلى أنه ألف في (القرن الثاني الميلادي) أنظر : جورج ابلتون، يوحنا ،ص، 4،.

(4) أحمد طاهر ، الأناجيل دراسة مقارنة ، دار الأرقم ، القاهرة ، ط1، 1412م. ، (ص ، 37)

بتأليف كتاب في تأسيس الكفر وترويجه ، هذا إضافة لعدم تلق المسيحيين الأوائل لهذا الإنجيل بالقبول وقد استمر الموحدون في كونهم الغالبية العظمى حتى مجمع نيقية.

المطلب الخامس: موقف النصارى من الإنجيل وأسبابه.

مع أن جميع النحل المسيحية في العصر الحاضر مجمعة على اعتماد هذا الإنجيل واعتباره مقدساً موحى به ، وقد اعتمدت صحة نسبته إلى يوحنا بن زبدي أحد الحواريين الإثنا عشر ، فإن بعض القدامى من الباحثين في المسيحية كانوا ينكرون هذا الإنجيل وينكرون كذلك جميع ما استند إلى يوحنا من بقية أسفار العهد الجديد ويرون أن ذلك كله من تأليف أشخاص آخرين ، بل لقد كانت بعض الفرق القديمة نفسها في أواخر القرن الثاني الميلادي تذهب هذا المذهب في جميع ما نسب إلى يوحنا من أسفار ، ويرتاب كذلك كثير من الباحثين المحدثين في صحة نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا ، بل إن عدداً كبيراً من ثقاتهم يقطع بعدم صحة نسبته إليه ، ومن هؤلاء جماعة من العلماء الذين أشرفوا على تحرير المسائل المسيحية في دائرة المعارف البريطانية فقد ذكروا في ترجمتهم للأناجيل أنه (لا مرية في أن مؤلف إنجيل يوحنا شخص آخر غير يوحنا بن زبدي الحواري المشهور ، وقد ادعى مؤلفه في متنه أنه هو يوحنا الحبيب إلى المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري ، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً)[1]. ويذهب رحمة الله الهندي إلى أن (فرقة (ألوجين) التي كانت في القرن الثاني كانت تنكر هذا الإنجيل وجميع تصانيف يوحنا)[2] ثم يقول إن المحقق(برصشنيدر) قال:(إن هذا الإنجيل كله وكذا رسائل يوحنا ليست من تصنيفه بل صنفها أحد في ابتداء القرن الثاني)[3] وتصرح دائرة المعارف الأمريكية:(إن هناك مشكلة هامة وصعبة تنجم عن التناقض الذي يظهر في نواح كثيرة بين الإنجيل الرابع والثلاثة المتشابهة وأن الاختلاف بينهما عظيم ، بحيث لو قبلت الأناجيل المتشابه باعتبارها

(1) د. علي عبد الواحد وافي ، الإسفار المقدمة في الأديان السابقة للإسلام . (ص ، 67-68).
(2) رحمة الله خليل الرحمن الهندي ، إظهار الحق المكتبة التوفيقية . ، ج1 ، (ص ، 97).
(3) رحمة الله خليل الرحمن الهندي ، إظهار الحق المكتبة التوفيقية . ، ج1 ، (ص ، 97).

صحيحة ، وموثوقاً بها، فإن ما يترتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنا)[1] ويختلف علماء الكتاب المقدس في مؤلفه مع رجال الكنيسة ، فبينما يقول رجال الدين الكنسيين أن المؤلف هو (يوحنا بن زبدي)تلميذ المسيح وهو رأى التقليد والمقلدين ، يذهب رأي علماء الكتاب المقدس بأن المؤلف هو (يوحنا الشيخ)[2] الذي ثبت في مصادر تاريخ الكنسية أنه كان قسيس أفسس وكان يلقب بالشيخ[3]

ويشك كثيرون في أن الإنجيل المعني ينسب ليوحنا وقد أورد الدكتور القس (فهيم عزيز) هذا السؤال فقال: (ولكن من هو الذي كتب إنجيل يوحنا ؟) ثم أجاب في يأس بالغ قائلاً: (هذا السؤال صعب والجواب عليه يتطلب دراسة واسعة غالباً ما تنتهي بالعبارة (لا يعلم إلا الله وحده من الذي كتب هذا الإنجيل)[4] وهو تصريح يدل على أن هذا النص مزيف وقد بنيت عليه عقيدة التثليث بينما الذي أدخله كاتب مجهول!!. ويرى سهيل التغلبي:(يعد إنجيل يوحنا أكثر الأناجيل تحريفاً ، فقد بلغت جملة تحريفاته 135 ، وما ذلك إلا لأن الخط العام الذي سار عليه المحرفون هو محو كلمة اليهود من أسفار العهد الجديد ، ولما كان هذا الإنجيل أكثر الأناجيل ذكرا لكلمة اليهود التي تكررت فيه 53 مرة وهو رقم يزيد على عشرة أمثال ورودها في أي الأناجيل الثلاثة السابقة لذلك فاز إنجيل يوحنا بأكثر عدد من التحاريف)[5].

المطلب السادس: بعض أراء علماء النصارى المعاصرين:

يرى بعض علماء النصارى المعاصرين: (إن الإنجيل الرابع هو سلسلة أحداث لم ترتب ترتيباً دقيقاً وأن هناك فوارق جغرافية وزمنية بالنسبة للأحداث بينه وبين الأناجيل (الإزائية)- المتشابهة – ويرجح بعضهم أن الإنجيل كما هو الآن بين أيدينا

---

(1) دائرة المعارف الأميركية ، ج13 ، (ص ، 73)، مادة (Bible)

(2) انظر: يوسابيوس القيصري ، تاريخ الكنيسة ، ترجمة : مرقس داود ، طبع ؛ ماهر نسيم. ج3 ، (ص ، 39) .

(3) د. محمد علي زهران ، إنجيل يوحنا في الميزان ، بتصرف ، دار الأرقم ، مصر ، 1991م. ، (ص ، 600 – 601).

(4) د. فهيم عزيز، المدخل إلى العهد الجديد ، (ص ، 546).

(5) سهيل التغلبى ، الصهيونية تحرف الإنجيل ، سابق ص ، (71)

أصدره بعض تلاميذ المؤلف فأضافوا عليه الفصل الأخير ولا شك أنهم أضافوا بعض التعليقات كرواية المرأة الزانية فهناك إجماع على أنها من مرجع مجهول)[1]

كما يرى بعض المحققين النصارى إن إنجيل يوحنا ليس إلهامياً[2] أما موريس بوكاي فيقول:(لا يجب الأخذ بحرفية الأناجيل فهي كتابات ظرفية وخصامية حدد محرروها كتابة تراث جماعاتهم عن المسيح)[3] ، وهو قول يصدق في هذا المقام عن إنجيل يوحنا دون الأناجيل الأخرى فقد كتب لظروف معينة وتحت عوامل معينة تشتمل الخلاف والخصومة التي كانت سائدة بين فرق النصارى آنذاك وهم يعترفون بذلك سلفاً وخلفاً؛ وتشير دراسات الآباء اليسوعيين لبعض المواضع المضافة بإنجيل يوحنا ويرجحون أن الإنجيل الذي بين أيدينا قد أصدره بعض تلاميذ المؤلف.

المبحث الثاني: عيسى عليه السلام في إنجيل يوحنا.

المطلب الأول: عيسى عليه السلام ابن الله الوحيد.

تتضمن افتتاحية يوحنا وتتمحور حول مصطلح الـ (Logos) - الكلمة - ونلاحظ فيها توازياً بالتناقض فهو يقول : في البدء كان الكلمة والكلمة كان لدى الله والكلمة كان الله والكلمة صار بشراً : والتناقض في كان الله ،الكلمة ، صار بشراً ، فكيف تكون الكلمة التي كانت لدى الله ثم تصير بشرا بعد أن كانت الله !؟ ، كما يعكس هذا التوازي ثنائية كذلك :الله/ بشر، وفي هذا تناقض ومشكل واضح وصريح وتداخل بين المفاهيم . أما عن هوية الابن فهي (فرأينا مجده ، مجدا من لدى ألآب لمولود وحيد) فتربط بالله رباطاً وثيقاً وتكشف بصورة مباشرة عن هوية الابن المتجسد، أضافه إلى نص : (أنا والأب واحد)[4] وهو يحتمل تفسير أن المسيح عليه السلام والأب واحد في كونه إلها مثله ، أو انه أي المسيح عليه السلام هو نفسه

(1) أحمد عبد الوهاب ، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ،(ص ، 121) .

(2) د. محمد شلبي شتيوي ، مقارنة الأديان ، الإنجيل دراسة وتحليل ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ، ط1 ،1984م. (ص ، 40).

(3) موريس بوكاي ، القرآن ، سابق. (ص ، 87) .

(4) إنجيل يوحنا إصحاح رقم (10 : 30)

ألآب.ويقول د. حنا جرجس للإجابة على سؤال من هو المسيح لدى يوحنا :(يبيّن يوحنا أن الكلمة أو اللوغوس[1] هو كائن أزلي لا بداية لبدايته ، بل هو بداية كل بداية ، والبداية التي ليس لها بداية هي معادلة لوجود الله ، لأنه نفسه الله)[2] والإنجيل الرابع يصور المسيح عليه السلام باعتباره موجوداً إلهياً ، فهو اللوغوس – الكلمة الإلهية – التي حلت في الإنسان وأن أعداءه لم يكونوا رهطاً من اليهود ، بل اليهود عامة عادوه وخاصموه[3] ويرى البيرتون ل. ماك إن :(الإنجيل الرابع كان مختلفاً بكل وضوح عن الأناجيل الثلاثة الباقية، ففي الإنجيل الرابع بدا يسوع مثل إله دون عواطف ، في مهمة مؤقتة من عالم آخر)[4] ونجد يوحنا أقل الأناجيل التي استخدمت مصطلح (ابن الإنسان) وقد استخدمه اثنتي عشرة مرة مقارنة بثلاثين مرة في متى وأربع وعشرين في لوقا بينما ذكره مرقص في إنجيله أربع عشرة مرة . وهكذا يصور يوحنا عيسى بن مريم عليه السلام كابن الله الوحيد وفي نفس الوقت هو الله في كماله، ولأنه الله فهو قادر على أن يعلن نفسه لنا بوضوح ودقة وعنده أن يسوع هو الله المتجسد فهو يحيا إلى الأبد ، وقبل أن يبدأ العالم هو كائن وحي مع الله وسيملك إلى الأبد معه، ويقول يوحنا إن عيسى قد قام من موته في اليوم الثالث وهي عقيدة تعتبر أساس الإيمان المسيحي ، ويتحدث يوحنا عن صفات المسيح باعتباره إلها وعن حياته ووجوده الأزلي القديم وعلمه بكل شيء ومساواته لله في الذات والأعمال وقدرته على أن يحب من يشاء وعن قيامه بالدينونية ، ووهبه سلطان المغفرة والحرمان وأنه الخالق

(1) اللوغوس : هو قوة الله الخلاقة التي يقود ويسيطر بها على الكون كله ويحفظ نظامه . انظر : د. حنا جرجس الخضري ، تاريخ الفكر المسيحي ، ، سابق ،(ص ، 391) .

(2) د. حنا جرجس الخضري ،تاريخ الفكر المسيحي ، (ص ، 391).

(3) د.عرفان عبد الحميد فتاح ، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها ، ط1 ، 2000م . ،(ص ، 36).

(4) البيرتون . ل .ماك ، الإنجيل المفقود ، دار الكلمة ، ترجمة : محمد الجورا ، سوريا ، ط1،2007م. (ص ، 24) .

لكل شيء[1]. كل ذلك في نصوص متناثرة في الإنجيل إضافة لنصوص أخرى تشارك في هدف إظهار إلوهية المسيح وهي تلك التي تتحدث عن معجزاته بوصفها أعمال إلهية وأنه قام بها من نفسه ، وقد ذهب إلى ذلك صراحة الانبأ أثناسيوس حيث قال: (لقد أثبت هذا الإنجيل بعض أعمال لا تأتي إلا من الله ذاته ، فتحويله مادة إلى مادة أخرى مثل جعل الماء خمراً وخلقه عين للرجل المولود أعمى وإقامته لعازر من الموت بعد أربعة أيام ليست معجزات عامية ، بل هي سلطات الخالق على الطبيعة الجمادية والطبيعة الحية)[2]

المطلب الثاني: إلوهية عيسى عليه السلام.

وبإنجيل يوحنا نص يستند إليه النصارى الذين يؤمنون بألوهية المسيح وهو نص مهم جداً لا يكاد يخلو كتاب يتكلم عن إلوهية المسيح عليه السلام إلا ويستند عليه وهو :(وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء أبن الإنسان الذي هو في السماء ، يفسرون قوله الذي هو في السماء بمعنى: (انه كائن في السماء بينما هو على الأرض يتكلم، مما يثبت لاهوته أيضاً لوجوده في السماء وفي الأرض في نفس الوقت)[3]. كما أن بإنجيل يوحنا آية تقوم عليها الديانة النصرانية وهي: (لأنه هكذا أحب الله العالم ،حتى بذل ابنه الوحيد ، لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل لتكون له الحياة الأبدية)[4]. والمعنى – عندهم- أن الله رضي بقتل المسيح (عليه السلام)، ليكفر خطايا بني آدم ، وليأخذ بيد كل من يؤمن به إلهاً مصلوباً ويدخله الجنة بغير حساب. وهذا على الرغم من وجود آيات كثيرة في الإنجيل تشير إلى أن عيسى (عليه السلام) رسول الله مثل قوله :(طعامي هو أن أعمل بمشيئة الذي أرسلني)[5] و

---

(1) انظر إنجيل يوحنا الإصحاحات الآتية (5:26) و (1:1) و (8 : 25) و (8: 58)و (6 : 64) و (6 :29) و (5 : 18)و (5 : 21) و (6 : 4) و (5 : 22) و (8 : 58) و (8 : 46) و (3 : 35) و (20 : 23) و (1 : 3) و (1 : 10) و (17 : 10).

(2) الأنبا أثناسيوس ، إنجيل يوحنا ، سابق. (ص ، 41) .

(3) البابا شنودة الثالث ، لاهوت المسيح، (ص،45)، والنص من يوحنا إصحاح رقم (3؛13).

(4) إنجيل يوحنا إصحاح رقم (3؛ 16).

(5) إنجيل يوحنا إصحاح رقم (4: 34).

(وأن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني له الحياة الأبدية)[1](الأعمال التي أعملها ، هي نفسها التي تشهد لي بأن الأب قد أرسلني)[2] وهناك آيات بصيغة (ومن لا يمجد الابن ، لا يمجد الآب الذي أرسله)[3] وغيرها كثير ، كما ورد (وليعلم العالم أنك أنت الذي أرسلتني)[4]

ولعل هذه الآيات توافق الآية الكريمة من سورة النساء (إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله)[5] وكذلك يقول عيسى في إنجيل يوحنا :(أبي أعظم مني)[6] وقد أعطى عيسى عليه السلام حسب يوحنا الدينونة يوم القيامة ، والنصارى كما هو معلوم يعتقدون في الحساب والجزاء لكل البشر ويطلقون على اليوم الآخر أو يوم القيامة يوم الدينونة ، وقد أعطيت الدينونة للرب يسوع المسيح – حسب زعمهم– فهو الذي يقف أمامه جميع البشر ويحاسبهم على أعمالهم خيراً كانت أم شرا[7] ، وهذه الدينونة شاملة[8] ، وإن كان هناك نص آخر في يوحنا يفيد :(أما أنا فلست أدين أحد ، وإن كنت أدين فدينونتي حق ، لأني لست وحدي ، بل أنا والأب الذي أرسلني)[9] ففي هذا النص ينفي المسيح الدينونة عن نفسه ثم بعد ذلك يثبتها له، ولكنه يدين مع الآب الذي أرسله وفي هذا تناقض واضح وصريح.

(1) إنجيل يوحنا إصحاح رقم (5 : 24).

(2) إنجيل يوحنا إصحاح رقم (5 : 36) .

(3) إنجيل يوحنا إصحاح رقم (5 : 23) وانظر أيضاً : (يوحنا 3 : 17 : 34) و إصحاح رقم (6: 29) .

(4) إنجيل يوحنا إصحاح رقم (17: 23) و (17 : 8) و (17 : 21) و (17 : 18) .

(5) سورة النساء آية رقم (171).

(6) إنجيل يوحنا إصحاح رقم (14 : 28).

(7) إنجيل يوحنا إصحاح رقم (5 : 22) .

(8) إنجيل يوحنا إصحاح رقم (5 : 28 – 29) .

(9) إنجيل يوحنا إصحاح رقم (18 : 15 –16).

المطلب الثالث: الله في الإنجيل.

رغم حذف النص الذي يقول:(فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة : ألآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة واحد)(1) فلا يخلو كتاب في اللاهوت أو شرح عقيدة التثليث أو إثبات لإلوهية المسيح إلا ويقحم هذا النص ويستدل به ونجد ذلك في كتاب لاهوت المسيح للأنبا شنودة فيقول في الفصل الأول في الفقرة الثانية مستشهداً بهذا النص ومعلقاً عليه (وهنا اللاهوت واضح جداً)(2) وكذلك يقول القمص مرقس عزيز :(هؤلاء الأقانيم الثلاثة هم إله واحد بالذات كما قال القديس يوحنا الرسول ... ثم يورد النص المحذوف)(3) ونجد هنالك تداخلاً واضحاً بين الابن والأب وفي خط هذا التداخل نجد عبارة (أنا هو) : قد تدل على شخص من الناس ، على ما قال الأعمى حين سألوه : (أنا هو) ، (الأعمى منذ مولده)(4) وسأل الحرس عن يسوع الناصري فقال : (أنا هو)(5) فدل على نفسه ،ولكن من خلال هذه الإشارة المادية ،نفهم ان كلمة يسوع دلت على أنه الله . لهذا تراجع الحرس إلى الوراء خوفاً ، وسجدوا له سجود الرهبة(6) وفي استخدام عبارة أنا هو في عدة مواضع(7) في الإنجيل نجد أن يسوع يتماهى مع الله ولا تستطيع فصله بل هو الله !!!.يقول ألآب متى المسكين : (غير أن المسيح لكي يعرَّف أو يستعلن نفسه إنه الله ومع الأب فعلاً قال صراحة (أنا والأب واحد) و(أنا في ألآب والأب في) ، وهذا معناه أنه لا يمكن أن يوجد الابن وحده أو الآب وحده ، بمعنى أنه إذا ذكر الابن، يكون معه ألآب

---

(1) إنجيل يوحنا إصحاح رقم (1 : 5-7) وموجود في ترجمة فان دايك ،محذوف في الترجمة العربية المشتركة وترجمة كتاب الحياة، والطبعة الكاثوليكية للعهد الجديد والترجمة العربية المسيرة.

(2) البابا شنودة الثالث ، لاهوت المسيح ، (ص،8) ، والكتاب يدرس على طلاب الكليات الاكليريكية.

(3) ا لقمص مرقص عزيز خليل ، المسيح هل هو الله ؟ (ص،83) سابق.

(4) إنجيل يوحنا إصحاح رقم (9:9).

(5) إنجيل يوحنا إصحاح رقم (18 : 9).

(6) مجموعة مؤلفين ، دراسات في إنجيل يوحنا ، (ص،23) www.Servant lejesus.co.nr

(7) أنظر : إنجيل يوحنا إصحاح رقم (8 : 24) (8 : 28، 58) و (13 :19).

حتماً ودائماً ، لذلك أصبح من المفهوم الضمني أن يقال أن الابن ، أي المسيح هو الله باعتباره قائماً دائماً في الآب لأنه لا يمكن أن يوجد المسيح وحده)[1]وهكذا تتداخل المفاهيم فالمسيح هو الله والله لا يوجد وحده وهو ثالث ثلاثة وهؤلاء الثلاثة واحد.

المبحث الثالث: موقف القرآن من إنجيل يوحنا، ونظرته للمسيح وبعثته ودعوته ونهاية أمره ونزوله وموته آخر الزمان

المطلب الأول: المسيح في القرآن الكريم

مما سبق يتضح أن النصوص الواردة في يوحنا تجمع بين نقيضين هما:

1/ القول بأن عيسى بن مريم عليه السلام عبد الله ورسوله.

2/ القول بان المسيح عليه السلام هو الله أو على أقل الفروض (هو مساوٍ لله) والتناقض أعلاه أوقع أتباع هذا الإنجيل في حيرة بالغة وشك مرير ، فأصبحوا مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ولم تحسم قضية إلوهية المسيح ، بل هي لا زالت مثاراً للجدل بين القبول والرفض ، وقد برز فريق ثالث ينادي بالسكوت عن هذه القضية، ولعل هذه الحيرة وهذا التناقض هو الذي دعا لعقد المجامع لتقرير طبيعة المسيح ذلك لأن النصوص الواردة في يوحنا غير متحدة في تقرير هذه الألوهية التي حسمت في مجمع نيقية عام 325م وكان اجتماعهم بقصد وضع حد لهذه المسألة المعقدة ، فأجمع الأعضاء القائلون بالتثليت وبألوهية المسيح وعددهم 318 عضواً من مجموع 2048 واتخذوا قراراً ينص على عبارة المساواة بين ألآب والابن. وتتمثل نصوص الإنجيل التي يتمسك بها القائلون بألوهية المسيح في سبعة وعشرين نصاً تتحدث عن ذاته وصفات المسيح عليه السلام باعتباره إلهاً ، تقسم إلى ثلاثة عشر نصاً تتحدث عن ذاته باعتباره من الله وإنه هو الله وخرج من قبل الله وأنه هو والأب واحد وهو في ألآب والأب فيه.[2]

(1) ألآب متى المسكين ، ماهية المسيح ، دير القديس أنبا مقادر. (ص ، 1).

(2) زكرنا بعض هذه النصوص فيما سبق من المبحث فيما يلي بعضها : إنجيل يوحنا إصحاح رقم (1:1) و (1: 4) و (3 : 13) و (6 : 15) و (7 : 29) و (8 : 12) و (8 : 28).و (8 : 42) و (10 : 30) ،و (10 ، 38) و (13 ، 13) و(14 : 8 – 12) و (20 : 28 – 29) .

إذا أردنا الوقوف على نماذج من الفروق بين الأناجيل والقرآن؛ فإننا نجد في جانب العقيدة وتصور الإله وعيسى عليه السلام وهو الأهم هنا أن القرآن الكريم قد جاء بعقيدة التوحيد الصحيحة؛ إذ أفرد الله سبحانه وتعالى بالعبودية ، وبيّن أنه الخالق والمدبر لكل أمر في هذا الكون من مبتدئه إلى منتهاه ، وأن مقاليد الكون كلها بيده سبحانه ، وهذا واضح لكل متأمل لكتاب الله وضوح الشمس في كبد السماء ، بينما تقوم عقيدة النصارى واليهود على وصف الخالق سبحانه بصفات بشرية؛ لا تليق بجلاله ، ووصف البشر بصفات الخالق سبحانه وكذلك فإن عقيدة النصارى المحرفة تقوم على أكثر من تصور بخصوص الذات الإلهية، ويأتي في مقدمة تلك التصورات؛ عقيدة التثليث ، وعقيدة حلول الذات الإلهية في شخص عيسى عليه السلام تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً[1] .والقرآن يقرر إن المسيح عبد الله ورسوله؛ وأنه جاء ليخرج الناس من الضلال إلى الهدى، والنصرانية تقول إن المسيح عليه السلام ابن الله، وأنه جاء ليكون مخلصاً للناس من الخطيئة، كما يصف القرآن المسيح بالبار بوالدته وتصور الأناجيل عيسى بأنه غير مؤدب مع أمه ومنكراً لفضلها[2].عليه السلام والقرآن يقرر أن المسيح عليه السلام كان مصدقاً للأنبياء السابقين، بينما عند النصارى وأناجيلهم يظهر الأنبياء كقطاع الطرق على حد زعمهم في كتبهم .ويبين الله تعالى في القرآن الكريم؛ أنه قد أبطل مكر اليهود فلم يمكنهم من قتل نبيهم عيسى عليه السلام ، لكن النصارى يقولون في أناجيلهم أن اليهود جلدوه وصلبوه وبصقوا على وجهه ، وكل ذلك لأجل خطيئة بني آدم، فكان موته ميتة الملعون على حد زعمهم في الأناجيل، بينما يصور القرآن الكريم؛ المسيح عليه السلام في جميع الأحوال هكذا: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي

---

(1) الحسين معدي ، الأجوبة الجلية في الرد على الأسئلة المسيحية، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ط1، 2001م (ص ، 177).

(2) إنجيل يوحنا: إصحاح رقم (2: 1. 4) .

فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [1] .

المطلب الثاني: تصور الإله في الإنجيل مقارنة بالقرآن الكريم

أولا: الإله في الإنجيل

كررت الأناجيل جميعاً ، أن المسيح عليه السلام (ابن الله) وقد اختص يوحنا بتمسكه بهذا اللفظ ،وقد ذكر في مواضع من إنجيله أنه هو ذاته الله ،وهو تصور قاصر وباطل ، يدل على سقم في فهم الربوبية، وقصور في فهم الألوهية المنزهة. وقد ذكرنا فيما سبق سبب كتابة هذا الإنجيل؛ وهو إثبات إلوهية عيسى عليه السلام. ومما يؤكد هذا ما جاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: إن الغرض من كتابة الإنجيل هو : الإثبات القاطع أن يسوع المسيح ابن الله[1] كما تعترف دائرة المعارف الكاثوليكية قائلة :أسلوب يسوع في إنجيل يوحنا مختلف عن أسلوبه في الأناجيل المتوافقة.[2] ورغم حذف النص الذي يقول: (فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة : الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة واحد)[3] فلا يخلو كتاب في اللاهوت، أو شرح لعقيدة التثليث، أو إثبات لإلوهية المسيح إلا ويقحم هذا النص، ويستدل به، ونجد ذلك في كتاب لاهوت المسيح للأنبا شنودة؛ فيقول: في الفصل الأول في الفقرة الثانية مستشهداً بهذا النص ومعلقاً عليه : (وهنا اللاهوت واضح جداً).[4] وتتداخل المفاهيم في هذا الإنجيل، فالمسيح هو الله، والله لا يوجد وحده، وهو ثالث ثلاثة، وهؤلاء الثلاثة واحد.

الواضح أن النصوص الواردة في يوحنا تجمع بين نقيضين هما:

---

(1) مريم ،36-29.

(1) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مرجع سابق، (ص ، 2164).

(2) New Catholic Encircle paedia، vol.7.p.1082

(3) إنجيل يوحنا إصحاح رقم (1 : 5-7)، وموجود في ترجمة فان دايك ،محذوف في الترجمة العربية المشتركة وترجمة كتاب الحياة،والطبعة الكاثوليكية للعهد الجديد والترجمة العربية الميسرة.

(4) لاهوت المسيح، البابا شنودة الثالث ، مرجع سابق، (ص،8)، والكتاب يدرس على طلاب الكليات الاكليريكية.

1/ القول بأن عيسى بن مريم عبد الله ورسوله.

2/ القول بأن المسيح هو الله، أو على أقل الفروض (هو مساوٍ لله) والتناقض أعلاه أوقع أتباع هذا الإنجيل في حيرة بالغة وشك مرير.

ثانيا: الله في القرآن الكريم

تصور الإله من الناحية العقدية في الإسلام، وكما يرد في القرآن والسنة، يعني أن الله واحد لا شريك له، ولا ند، وهو كما وصف الله تعالى نفسه ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)﴾(1).ويؤكد الله عز وجل في القرآن كله أن العلم له وحده، وأنه سبحانه وتعالى لا يضل ولا ينسى ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ (2) ، وأن الله تعالى يتفرد بالحول والقوة والعلم ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾(3). ليس معه إله، ولم يتخذ ولدا وليس بين صفات الله في القرآن الكريم؛ وما يسمى بالكتاب المقدس أي تقارب، فالله تعالى في القرآن الكريم: إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (4). و يكثر تكرار هذه الآية في القرآن وهي تدل على أن الله قوى قادر، لا تغلبه قوة من قوى الكون، وكل ما في الوجود مقهور له مغلوب لإرادته ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾(5)، والفرق واضح في القرآن الكريم بين صفات الخالق والمخلوق ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (6) .كما إن الإله في القرآن واحد لا شريك له ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا

---

(1) الإخلاص، (1-4).

(2) طه ، 52.

(3) البقرة، (255

(4) البقرة، 20، و مواطن كثيرة غيرها.

(5) الانعام ، 18

(6) الشورى، 11

اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1]، ويرفض المسلم صحيح العقيدة والإيمان؛ بناء على ما سبق؛ كل قول مخالف لهذا المفهوم والتصور، و يرد عل كل من ينسب لله تجسيداً أو تشبيهاً أو حلولاً في أشياء؛ أو غير ذلك من تصورات مستقاة من أساطير الأقدمين؛ هنوداً ومصريين وإغريق .ويواصل القرآن المجادلة بالحجة والبرهان في قضية التوحيد فيقول: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [2] وقد نزه القرآن الكريم الله جل وعلا عن صفات النقص في قوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾[3] وهكذا يتحدث القرآن في آيات كثيرة نافياً عن الله الولد والشريك، ومثبتاً له الوحدانية، وفي صحيح البخاري عن النبي ﷺ أنه قال:(ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله.. أنهم يجعلون له ولداً وشريكاً، وهو يرزقهم ويعافيهم)[4]. فالقرآن يقرر وحدانية الله ، والله تعالى فيه موصوف بكمال الذات ، وهي ذات ليس مركبة أو مجزأة من أجزاء أو عناصر أو أقانيم ، فالله واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله ، لا يشاركه فيها أحد من مخلوقاته ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [5] ، وهو الذي خلق العالم وما فيه من مخلوقات وكائنات ، متفرد بذلك، وهو المعبود بحق ، ولا تكون العبادة إلا له سبحانه، ويستحيل في إرشاد القرآن الذي يدعو العقل للبحث والتفكير؛ من خلال حواره مع المشركين؛ وجود أكثر من إله في الكون. في هذا يقول المستشرق جيب : يستند اللاهوت الإسلامي دائما إلى أوضاع قصوى ، فلا يجوز أن يوجد في الكون أي فاعل آخر ، من أي نوع ، ما عدا الله ، لأن وجود فاعل يقتضي إمكان فعل مستقل عن الله ، ويوجب من ثم تحديد قدرة الله المطلقة تحديداً نظرياً ، لا شيء إذا يتصل إيجابياً بأي شيء ...، أما في مجال الأخلاق فلا يجب على الله ، ولا يمكن أن نتصور أي علاقة

(1) الأنبياء، 22

(2) النمل، (64) .

(3) الأنبياء، (26) .

(4) البخاري، كتاب الأدب ، باب الصبر على الأذى ، حديث رقم572، 8/ 31

(5) الحديد، 3

بينه وبين أفكارنا ، أنه يثيب ويعاقب كما يشاء، ولا يسأل عما يفعل[1]. وبصورة عامة يؤمن المسلم بأن الرسل وصفوا الله بصفات الكمال ، ونزهوه عن النقائص المناقضة للكمال، ونزهوه عن أن يكون له مثل في شيء من صفات الكمال ، وأثبتوا له صفات الكمال على وجه التفصيل ، ونفوا عنه التمثيل ، فأتوا بإثبات مفصل ونفي مجمل ، فمن نفي عنه لما أثبته لنفسه من الصفات كان معطلاً، ومن جعل هذه الصفات مثل صفات المخلوقين كان ممثلاً، والمعطل يعبد عدماً ، والممثل يعبد صنماً[2]، والكاثوليك وبعض من الأرثوذكس يؤمنون ببعض الصفات التي لا يتصف بها إلا الله في المسيحية ، ويضعونها على مريم ويصفونها بها، ومن ذلك: الصلوات الكثيرة لها وطرق الدعاء وعبادتها [3] ، ويعتقدون أنها رفعت للسماء بالنفس والجسد ، وهي صفة يحاول المسيحيون إثبات لاهوت المسيح بها ، ويقولون أنه قام، وهذا يثبت لاهوت المسيح [4]، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾.[5]. وبالرغم من أن أسماء الثالوث لدى النصارى – الأب والابن والروح القدس- تشكل لديهم أسماء لإله واحد هو المكون من الأقانيم الثلاثة ، فكل من الأب والابن والروح القدس يقول عن ذاته (أنا) ، وكل منهم يقول للآخر في الخطاب (أنت) ، وفي الغيبة (هو) ، وفي هذا تميز لكل أقنوم عن الآخر والتثليث يعني الكثرة التي لا يمكن عند ثبوتها توحيد ، وإلا لزم اجتماع الضدين، والواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح ، والثلاثة لها ثلث صحيح ، وهو الواحد ، والثلاثة مجموع آحاد ثلاثة، والواحد ليس له مجموع آحاد ، والواحد جزء من الثلاثة ، فلو اجتمعا في محل واحد ، لزم كون الجزء كلاً والكل جزءاً ، وهذا يستلزم كون الله مركباً من أجزاء غير متناهية بالفعل؛ لاتحاد

---

(1) علم الأديان و بنية الفكر الإسلامي، جيب ، ترجمة : د.عادل العوا، منشورات عوايدات ، بيروت، ط 1 ، 1977م. ، ص، 133

(2) ا لجواب الصحيح، ابن تيمية، مرجع سابق، 230/4

(3) عبادة مريم في المسيحية والطهورات المريمية، معاذ عليان ، مكتبة النافذة ، ص 22 ، بدون .

(4) كتاب لاهوت المسيح ، البابا شنودة ،مرجع سابق ،ص 105

(5) الفرقان ، (68) .

حقيقة الكل والجزء على هذا التقدير ، والكل مركب ، فكل جزء من أجزائه مركب [1]. وسبحان القائل: (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آَللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ) [2]

المطلب الثالث: نظرة القرآن لعيسى عليه السلام

أولا: ولادة مريم بعيسى عليه السلام

أرسل الله تعالى لمريم عليه السلام جبريل[3]، فتمثل لها بشراً سوياً، أي جاءها على هيئة إنسان، فسبحان الذي يعلم الإنسان وما في نفسه. لماذا هبط عليها جبريل بهيئة إنسان ولم ينزل عليها ملكاً؟ قد يكون السبب في ذلك طبيعة تكوين البشر، فيخاطبهم على قدر عقولهم، فهي عندما تراه بشراً فإن وقع الصدمة عليها أهون ، وستفكر من أين دخل عليها، وكيف جاء ليوصل لها الرسالة التي بعثها الله، أما لو نزل عليها بهيئة الملاك لكان الأمر قد اختلف عليها فربما لا تحتمل صدمة ما ترى، لكن الله أراد شيئاً فأتى به على قدر عقول الناس. فلما تمثل لها ورأته (فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا) [4] وهنا سيكون حوار العقل، رأت بشراً مثلها ولكن تعجبت كيف دخل عليها وبينها وبين قومها حجاب، فحاورته محاولةً تخويفه وتذكيره بالله ذاكرةً (الرحمن) لأن الرحمة شاملة لكل إنسان، سواء كان تقياً أم لا، وذكرته إن كان تقياً فإنها تتعوذ بالرحمن منه، لينصرف عما جاء به، إن جاء على ما كان في نفسها، ويعود مرة أخرى ليحاورها قائلاً كما يذكر القرآن الكريم : (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) [5] وهكذا أجابها الملك مزيلاً عنها الخوف، فهو ليس كما ظنته، ولكنه رسول الله، بعثه لها ليهب لها غلاماً زكيا، وخيم العجب عليها بعد ذلك فقالت:

(1) إظهار الحق ، رحمة الله الهندى ، مرجع سابق ، (ص 335)..

(2) النمل،59

(3) عن ابن عباس قال إن الملائكة في قوله تعالى (إذ قالت الملائكة يا مريم) المراد به هو جبريل. ينظر مجمع البيان ، مرجع سابق، 442/2 .

(4) مريم : 18 .

(5) مريم : 19 .

متعجبة ومستفهمة عن ذلك كما جاء في القرآن الكريم: (قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) (1). أي من أين سيأتي الطفل وأنا لم أتزوج ولم أكن بغيا. ولا يتصور مني الفجور، ولم يكن من الملك إلا أن قال لها كما حكى القرآن الكريم: (قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا) (2)أي أن الغلام سيأتي من غير بعل، ومن غير فاحشة منك إلا أن البراءة ستكون منه ، فقد بعثه الله تعالى رحمة للناس يحمل بولادته آية لهم ، فسبحان الله الذي قدر لكل شيء خلقه ، فهي بشر آتاها الله معجزة وقد ساقها لها عن طريق معروف لكل البشر، بأن بعث لها بشرا مثلها فبشرها بالغلام فكانت البشرى عن طريق الحوار، فقد تحاور معها وأخبرها بما أتى به من الله، واستنكرت ذلك، واستفهمت لكنه أجابها وأفهمها بأمر الله تعالى، كحال أي شخصين يتحاورا فيما بينهما ليصلا إلى إقناع بعضهما بعضاً، فبين القرآن تلك القصة عن طريق الحوار(3).ويسترسل القرآن في ذكر قصة مريم، فقد بشرها الملك بالغلام تاركة قومها متخذة عنهم مكاناً بعيداً في أثناء حملها، وأوشكت على الولادة يقول القرآن : (فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا) (4) واضطرها ألم الولادة والطلق إلى جذع نخلة كانت في المكان الذي خرجت إليه فاتكأت عليها وولدت أبنها فقالت كما ذكر القرآن: (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) (5) وربما يعود سبب تأخر هذا التمني إلى أن أنجبت، في حين كان من الأولى أن تتمناه في وقت مبكر من حملها، ولعل ذلك

(1) مريم : 20 .

(2) مريم : 21 .

(3) الحوار : هو كلام بين طرفين والمحاورة مراجعة الكلام في المخاطبة، نقول : حاورته في المنطق وأحرت له جواباً، وما أحار بكلمة ويأتي الحوار لأمور عدة تتطلبها طبيعة الحال والمقام وهذا ما يبينه القرآن بين الملك ومريم (عليها السلام) عن طريق حوارهما. تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الزهري (ت370هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون ومحمد علي النجار، دار القومية العربية للطباعة، القاهرة، 1964م : 727/5. وينظر: أسلوب القرآن الكريم ومفردات ألفاظه، منير القاضي، مجلة المجمع العلمي العراق، السنة الأولى، أيلول 1950، مطبعة النقيض، بغداد: 31/1.

(4) مريم : 23 .

(5) مريم : 23 .

يرجع إلى أنها علمت أن قومها سيقدسون مولودها ويدعونه (ابن الله) بسبب ضيق أفق تفكيرهم والجهالة التي كانت تحيط بهم، ولوقع الصدمة عليهم حيث إنهم لم يتخيلوا قط أن يولد طفل من غير أب فقالوا ذلك. وهذا ما لم تكن تخشاه في أثناء حملها ولكنه كان ظاهراً بعد ولادتها. وبعد أن بشرها بذلك الغلام وما سيكون عليه من الكرامات، فهو نبي الله والمفروض أنها ستفرح لما من الله عليها وعلى ولدها من الكرامات، إلا أنها خافت أمرها مع الناس، وكيف سينظرون إليها وكيف سيبتليها الله ويمتحنها بهذا المولود وهل سيصدقها قومها؟ عندما ستخبرهم أنها حملت به من غير أب، وهي ناسكة عابدة لله، وتمنت أثناء الطلق أيضاً أنها لو لم تكن، أو كانت شيئاً منسيا أي لا أحد يذكرها ولا يدري ما هي، مخافة وحياء من الناس وعما سيقولون عنها، وفي دوامة ذلك الصراع مع نفسها فيأتيها النداء من جبريل أو من ابنها، يقول عز وجل مخبراً إياها أن لا تحزن فأمرها أن تأخذ بجذع النخلة فتهزها فيتساقط عليها رطباً صالحاً للاجتناء، فتأكل منه وتشرب من الماء. هكذا أخبرها جبريل بأن تأكل وتشرب وتقر عينها، وأخبرها أيضاً كما جاء في كتاب الله:(وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا)[1]. فهذا ما سيكون جواباً لقومها الذين سيتوجهون لها بالسؤال والافتراء عليها مما تحمل في يدها، ولتكون براءتها على يد طفلها الوليد، بالإشارة إليه، ليخبرهم بأنه عبد الله، وقد نعت الله بالعبودية كل من اصطفى من خلقه وبهذا إشارة إلى أن عيسى عليه السلام رسول اختاره الله لدعوته ولم يكن ابن الله، ليبرأ أمه من ألسنة السوء التي تحيف بها وسبحان الله فإن أول ما نطقوه هو اتهامهم إياها بإتيانها أمراً عظيماً، طاعنين فيها، ومعطفين بعد ذلك عليها يقول تعالى: (يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) [2] فشبهوها هنا (بهارون) استعظاماً لما جاءت به. وهارون هو رجل صالح في بني إسرائيل ينسب إليه كل صالح، وأن وجه الشبه هنا هو الصلاح، فكانت بينهم صالحة

(1) مريم : 26 .

(2) مريم : 28 .

مؤمنة فكيف تأتي بهذا[1] فأشارت إليه وهي صائمة صامتة عن الكلام فقالوا : متهكمين بها ظانين أنها تلعب بهم، قائلين كيف نكلم من كان في المهد صبيا. فنطق بالبشرى لأمه وببرائتها عندما قال كما جاء بالقرآن الكريم فكان إعجازاً من الله على صدقها وطهارتها. ولم تتوقف سيرة مريم بولادتها وإنما اتجه السياق القرآني ليخبرنا بالهول الذي أصاب قومها عندما تكلم معهم الطفل الوليد. ليتوجه القرآن بالأنظار إلى المعجزات التي كرم الله بها ذلك الوليد، لتكون دليلاً أكبر وأقطع لقوم مريم عند استعراض القرآن لتلك المعجزات، والتي بدأت من اللحظة التي ولد فيها مخبراً حشود قومها ببراءتها، ومعلناً أنه عبد الله ورسوله، ومبيناً جهالة قومها عندما قالوا فيما بعد أنه (ابن الله) في حين أنه أعلن منذ اللحظة الأولى لولادته أنه (عبد الله) .المسيح عليه السلام الذي يحدثنا عنه القرآن الكريم غير المسيح الذي تحدثنا عنه الأناجيل ، فالمسيح عليه السلام في القرآن إنسان من البشر، اصطفاه الله كما اصطفي غيره من الرسل ، وكل ما بينه وبين غيره من البشر من خلاف هو أنه قد ولد من غير أب ، وليس ذلك بعزيز على الله تعالى ، فقد خلق الله آدم من قبل بدون أب ولا أم(إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [2] أما المسيح عليه السلام في الأناجيل فهو كائن غريب : هو إله وابن الله وأقنوم من الأقانيم الثلاثة المكونة لله !!، والمعجزات التي ذكرت في القرآن الكريم لعيسي عليه السلام لم ترد كلها في الأناجيل ، ولا يعلم النصارى عنها شيئا من خلال الأناجيل وكتب أسلافهم ، وذلك مثل كلام عيسي في المهد وكهلاً ، ومثل خلقه من الطين كهيئة الطير فيكون طيراً بإذن الله ، ومثل إنبائه لهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ، وهو ما يدل على جهل النصارى بكثير من أحوال عيسي.

(1) عن الكلبي قال أن هارون هو أخوها من أبيها معروف بحسن الطريقة، وقيل أنه كان رجلا فاسقاً مشهوراً بالعهر والفساد فنسبت إليه، وقيل هارون أخو موسى وربما كانت من نسله. ينظر مجمع البيان : 512 .

(2) آل عمران، 59

ثانيا: اسم عيسى عليه السلام ونسبه.

كانت بداية السيد المسيح نذر نذرته امرأة عمران لله سبحانه وتعالى بأن تهبه ما في بطنها لخدمة بيت المقدس، ظانة أن ما في بطنها ولد، فالولد وحده كان للنذر في عقيدتهم(1). ولكنها تفاجأت عندما رأت المولود أنثى وليس ذكرا، ثم يبين القرآن الكريم كيف أن الله تقبل ذلك النذر إلى أن يصل بنا إلى (عيسى بن مريم). وعيسى بالكسر : اسم لابن مريم عليه السلام أعجمي[2]، واختلف في أسمه أهو عبراني أم سرياني[3]، وهذا الاسم معرب معناه السيد[4]، واختص لفظ (عيسى) باسمه العلم، لأن الاسم علامة المسمى ومعروف به. وقد ورد اسمه عليه السلام في القرآن الكريم نحو خمس وعشرين مرة في آيات القرآن الكريم. وقد بعث الله سبحانه وتعالى عيسى عليه السلام لدعوة بني إسرائيل، لتوحيد الله عز وجل. ذلك أن بني إسرائيل قد طال عليهم الأمد، فقست قلوبهم، وحرفوا شريعة الله التي جاءهم بها موسى عليه السلام وانحرفوا عن الطريق الواضح وما أقام عليه الأنبياء من السبيل السوي وخرجوا إلى الإفراط والتفريط[5] فجاء عيسى ليدعوا إلى التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ)[6]. وبذلك قيل: إنه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها[7] . والدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، لم تكن مهمة

---

(1) انظر المسيحية، د. أحمد شبلي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960م، ص 16.

(2) انظر لسان العرب، مادة (عيس)؛وتاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسني الزبيدي(ت1205هـ)،تحقيق محمود أحمد الطنامي، ط الكويت، ب.ت، مادة(عيس) .

(3) انظر : تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، المطبعة المنيرية ،(ت676هـ)، 47/2.

(4) انظر روح المعاني في تفسير القرآن والسبع الثماني ، للعلامة السيد محمود الالوسي البغدادي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (ت1270هـ)،ط4/ 1985م ، 11/3 .

(5) قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار، مؤسسة الحلبي للنشر، سنة 1966م ،ص 392 .

(6) النساء : 171 ؛ المائدة : 75 ؛ آل عمران : 49 ؛ الصف : 6 .

(7) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود، أدارة طباعة الجمعية العلمية الأزهرية المصرية، سنة 1979م : 614/1 .

عيسى عليه السلام وحده وإنما كانت دعوة جميع الأنبياء،[1] فالدعوة إلى توحيد الله، هي العقيدة التي جاء بها الأنبياء جميعاً ومنهم عيسى عليه السلام، فهو ما دعا إلا للتوحيد الخالص والتنزيه لله .أما عن نسبه فنرى في القرآن الكريم أن اسمه مقرون باسم أمه في سورة آل عمران، ضمن أسرتها آل عمران فاندرج معهم عيسى عليه السلام[2]. قال تعالى: ﴿عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾[3]. كذلك قوله: ﴿الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَم﴾.[4] وقد جاء بعيسى بن مريم فقط [5]. وتارة أخرى يذكره بالمسيح بن مريم[6] كما ينعته مرة أخرى بابن مريم[7]. ومن خلال هذه النصوص يتضح لنا إن نسبه يرجع إلى أمه التي تنسب إلى عمران، وبهذا يكون السيد المسيح من نسب عمران عليه السلام أما عن ذكر اسمه مع امه دائما فهو لتنزيهها عن مقالة اليهود الفاحشة [8].

ثالثا: صفات عيسى عليه السلام في القرآن الكريم

ومما ورد من صفات عيسي عليه السلام في القرآن الكريم ما يلي :

❋ البركة: لما في قوله تعالى: (وجعلني مباركا).

❋ الوجاهة: في الدنيا والآخرة، كما في قوله تعالى: (وجيها في الدنيا والآخرة) أي له الوجاهة والمكانة عليه السلام عند الله تعالى في الدنيا والآخرة.

---

(1) الأنبياء ، 92 .

(2) صفوة التفاسير محمد على الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط1/ 1981م، 18/1.

(3) البقرة : 87 و 253 ؛ المائدة 46 و 78 و 112 و 114 ؛ الأحزاب : 7 ؛ الصف : 6 و 14 ؛ الحديد : 27

(4) آل عمران : 45 ؛ النساء : 157 و 171 .

(5) البقرة : 136 ؛آل عمران : 52 و 55 ؛ النساء : 163 ؛ الأنعام : 85 ؛ الشورى : 13.

(6) المائدة : 72 و 75 ؛ التوبة : 31 .

(7) المؤمنون: 50.

(8) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، ط2، (ت6761هـ)، 6 /22 ، مرجع سابق.

* البر بوالدته: (وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيا)، أي ليس بفظ ولا غليظ، ولا يصدر منه قول ولا فعل ينافي أمر الله وطاعته. (1)

وأنه من الصالحين ، وغير ذلك مما ورد يقول الله عز وجل (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ) (2)

ومن أهم الصفات التي وردت في القرآن الكريم عن عيسي هي تلك الصفات والحقائق التي ذكرها الله ـ جل جلاله ـ في حق عيسي والتي تختص ببشريته وطعامه وشرابه ورسالته : فمتى ثبت أن المسيح عليه السلام رسول الله بطل كونه إلها ، فإن كونه هو الله مع كونه رسول الله متناقض ، وقولهم : إنه إله بلاهوته ، ورسول بناسوته ، كلام باطل من وجوه منها : أن الذي كان يكلم الناس، إما أن يكون هو الله أو هو رسول الله ، فإن كان هو الله ، بطل كونه رسولا ، وان كان رسول الله بطل كونه هو الله (3)

رابعا: دعوة عيسي عليه السلام في القرآن

دعوة عيسي عليه السلام مكملة لشريعة موسى عليه السلام وموضحة لها ومصححة لما طرأ عليها من انحرافات، وقد ورد ذلك في مواضع مختلفة من كتاب الله العزيز منها قوله تعالى : (وَقَفَّيْنَا عَلَى آَثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ) (4)، كما بين القرآن الكريم أنه عليه السلام قد أتي ببعض التخفيفات والتسهيلات لبني إسرائيل ، قال تعالى ـ حكاية عن عيسي عليه السلام (وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآَيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) (5) ، كما كانت من أهداف دعوته عليه السلام البشارة بالنبي الآتي من بعده ، محمد صلى الله عليه وسلم وقد قام بذلك كما أخبر به القرآن : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى

---

(1) انظر : قصص الأنبياء ، ابن كثير ، ص ، 616 .

(2) آل عمران ، 46 .

(3) ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، مرجع سابق، 1/ 168 .

(4) المائدة، 46

(5) آل عمران ، 50 .

ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾. [(1)] وقد ورد عنه ﷺ أنه قال : (إني لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس علي قدمي ، وأنا العاقب) [(2)]

وبين القرآن الكريم أن دعوة عيسي كانت التوحيد فقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [(3)] وهو نبي مرسل بصريح القرآن الكريم. بينما يصور لنا إنجيل يوحنا المسيح عليه السلام باعتباره موجوداً إلهياً ، فهو اللوغوس – الكلمة الإلهية – التي حلت في الإنسان، وأن أعداءه لم يكونوا رهطاً من اليهود ، بل اليهود عامة عادوه وخاصموه[(4)]

المطلب الرابع: موقف القرآن من ألوهية عيسي عليه السلام

يتضح موقف القرآن جلياً من ألوهيته في قوله: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾.[(5)]

ومن الآية السابقة وغيرها كثير في القران الكريم تتضح الحقائق الآتية:.

1. إن المسيح عليه السلام خلقه الله من امرأة بدون رجل كدليل على قدرته، فهو إنسان؛ ومن جنس البشر، والآيات صريحة وواضحة المعاني في ذلك.

---

(1) الصف ، 6 .

(2) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الصف ، باب قوله تعالي : يأتي من بعدى اسمه أحمد، حديث رقم 185/3/4614 .

(3) المائدة ، 72 .

(4) النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها ، د.عرفان عبد الحميد فتاح ،ط2002/1م ،(ص، 36) .

(5) آل عمران ، (80.79) .

2 . إن الله تعالى أرسل عيسي إلى بني إسرائيل، وعلمه التوراة والإنجيل وأيده بالمعجزات ومنها إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى .

3 . عيسي عليه السلام حاكياً عن نفسه يقرر أنه عبد مربوب لله تعالى، يجري عليه قضاء الله كسائر العباد ، وأنه دعا بني إسرائيل لعبادة الله وحده، ولم يقل إنه ابن الله أو أنه هو الله .

4 . في القرآن تكفير الذين يعتقدون بألوهية المسيح عليه السلام، وتكفير المعتقدين بأن المسيح ثالث ثلاثة، أي يجعلون له الألوهية مع الله والروح القدس .

5 . الآيات حملت التشنيع الشديد؛ والتحذير والتوبيخ لكل من ينسبون إلى الله الولد.

أولا: ولادة عيسى ﷺ في القرآن.

أما ولادته ﷺ؛ والتي خلقت المشكلات لدى النصارى، فيحدثنا عنها القرآن قائلا: (وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آَيَةً لِلْعَالَمِينَ)[1]،يعني أن المسيح ﷺ هو (روح من الله) ، أي جاء من عند الله . أي أن حرف الجر (من) مصدرية ، وليست للتبعيض ، بمعنى أن هذه الكلمة والأمر جاء وصدر من قبل الله سبحانه ، كما أن لفظ (كلمة الله) يشير إلي تلك الكلمة (كن) التي صدرت من الله سبحانه وتعالى بخلق المسيح ، يقول تعالى:(إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [2]ومعني ذلك أن الله تعالى قال (كن) فكان عيسي ﷺ بدون الحاجة لسبب مادي، فالكلمة وجمعها (كلمات) بمعنى الأمر والقانون والوعد ، وجاءت بمعنى الرأي الواحد الملزم للجميع ، وبمعنى أمر من الله ، هذا ولم ترد لفظة كلمة ، بمعنى (شخص) في كل القرآن ، أما مسألة البنوة فقد رفضها القرآن رفضا قاطعا، فنفى عز وجل عن نفسه حتى مجرد أنه اتخذ أي اختار واصطفى أي بشر ليكون له بمثابة الولد أو الابن ، فهو غني جل وعلا وليس في حاجة لاتخاذ ولد من الأصل.

(1) الأنبياء ، 91 .

(2) آل عمران ، 59.

ثانيا: نقض عقيدة التثليث من القرآن الكريم

أبطل القرآن الكريم عقيدة التثليث في عدة آيات ، وأقام الحجة والبراهين علي فساد هذه العقيدة ، وبيّن كفر القائلين بها ، وأثبت أن المسيح عليه السلام عبد لله ، وأن الروح القدس ملك كريم أمين؛ وعبد من عباد الله عز وجل؛ وهو جبريل عليه السلام وبذلك سقط التثليث المسيحي وبقي في القرآن إله واحد ، وقد دعا الإسلام إلي عقيدة التوحيد وبين أنها نزعة فطرية سليمة ، غرسها الله في جبلة الإنسان قبل تكوينه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (1) ، وما من نبي إلا دعا قومه إلي لا إله إلا الله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (2)، وقد قامت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء علي التوحيد ، وكان التوحيد عماد عقيدته ودعوته ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (3) وفي دعوى النصارى صلب المسيح عليه السلام رغم إلوهيته عندهم ، هل وقع الصلب على اللاهوت وحده ، أو علي الناسوت وحده ، أو عليهما معا ، في ذلك افترض أبو البقاء (4) أحد تصورين لا ثالث لهما وهما :أنه افترض أن كلا من القتل والصلب قد وقعا علي الناسوت وحده ، وبذلك تكون دعوى افتداء البشرية باطلة ، لأن الافتداء لا يتصور إلا بصلب اللاهوت الذي تجسد في المسيح لهذا الغرض ، وهو ما لم يحدث ، واذا افترضنا أنهما كانا قد وقعا علي اللاهوت وحده أو عليه وعلي الناسوت معه ، فإن ذلك مجال لاستحالة صلب الإله ، لأن الموت عدم

---

(1) الروم ، 30.

(2) الأنبياء ،25.

(3) الأنعام ، (162.163) .

(4) أبي البقاء : (هو أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفرى ، كان يعيش في الفسطاط بمصر ، وكان مشهورا بين العلماء بمعرفة عقائد المسيحية ، يرجح أنه ولد في أواخر القرن السادس الهجرى ، توفي في القرن السابع الهجرى) انظر ترجمته : كتاب الرد علي النصارى ،أبي البقاء صالح بن الحسين الجعفرى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1 ، 1988م ص 11 وما بعدها)

والله قديم ، وما ثبت قدمه فقد استحال عدمه [1] ، والدليل النقلي علي عدم الصلب ومنه كقوله . عيسي عليه السلام . لليهود في الإنجيل :(لم تريدون قتلي ؟ وأنا إنسان كلمكم بالحق الذي سمعه من الله) [2]

ثالثا: ابن الإنسان وابن الله المخلص:

الحق سبحانه وتعالى أراد أن يخلع عن بني إسرائيل الفكر المادي، فجاء بعيسي عليه السلام علي غير طريق الناموس الذي يأتي عليه البشر ، فجعله من امرأة دون أب، كان هذا الأمر الذي أريد به أن يزلزل قواعد المادية عند اليهود ، من الممكن أن يستغل استغلالا يبعد الناس عن المادية ، لكن الفتنة جاءت في هذه أكثر من تلك ، فقالوا ببنوته للإله.[3] وقد تحدث القرآن الكريم وفي مواطن كثيرة عن بشرية عيسي عليه السلام وتمثل ذلك في:

1. خلقه من تراب عليه السلام (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [4] فالآية تبين المادة التي خلق منها عيسي عليه السلام، وهي التراب كما خلق آدم منها ، والمسيح من سلاله بشرية مثله كمثل آدم عليه السلام فكان أصل خلقهما واحد وهو التراب ، وهو خلق من مخلوقات الله .[5]

2. حمله وولادته عليه السلام [6]. وكان ذلك كما تحمل النساء بأولادهن، فلا يمكن لإله أن يكون في رحم امرأة ثم تلده ولادة الأمهات لأبنائهن ، فذلك من صفة البشر لا من صفة الإله .

---

(1) الرد علي النصارى ، أبي البقاء صالح بن الحسين الجعفرى، المرجع السابق، (ص ، 43) .

(2) إنجيل يوحنا إصحاح رقم (8 : 39.40) .

(3) مريم والمسيح ، محمد متولي الشعراوى ، مكتبة التراث الإسلامي ، مصر ، (ص ، 77) ، بدون

(4) آل عمران، 59.

(5) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج2، مرجع سابق ، (ص ، 8). وأنظر أيضا ، الجامع لأحكام القرآن، لأبى عبدالله القرطبي ،تصحيح أحمد عبد العليم البردوى ، ط2 ،1952م ، ج4 ، (ص ، 109)

(6) مريم ، 22.

3. انتسابه لأمّه[1] ، فهو عليه السلام ابن مريم دون غيرها من الخلق ولا ينسب لغيرها ، وقد نسبه القرآن في كثير من الآيات ينسب لأمه وذلك للتدليل على بشريته .

4. طعامه وشرابه ﷺ يقول تعالى عنه وعن أمه (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) [2] ، وفي ذلك هو كسائر البشر ، والإله غير محتاج للغذاء وحاجة عيسي ﷺ إلي ما يقيه دليل واضح على عجزه والعاجز لا يكون إلا مربوبا لا ربا [3]

5. صفة الموت: وذلك في الآية (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا)[4] . وهو اعتراف من المسيح نفسه ﷺ بأن مصيره كمصير باقي البشر وهو الموت في آخر حياته والموت سنة كونية تجري على كل المخلوقات، أما الإله فله حياة سرمدية دائمة لا فناء لها ولا انقطاع.

6. إقراره ﷺ بربوبية الله تعالى (إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) [5]

وهنا يعلن أنه عبد كسائر عبيد الله من أهل الأرض ، لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ، وتحمل هذه الآية براءة المسيح ﷺ من الدعوة إلى ألوهية نفسه فالله. جلا وعلا. هو المستحق وحده للإلوهية والعبودية وهو أصل جاء به الأنبياء والمرسلون – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين– كما أن أول شيء تكلم به المسيح في القرآن الكريم هو إقراره بالعبودية : ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [6] وفي ذلك يقول ابن كثير: (أول ما تكلم به أن نزه جناب ربه تعالي وبرأه من الولد وأثبت

(1) النساء، 171.

(2) المائدة ، 75.

(3) أنظر : جامع البيان في تأويل آى القرآن ، أبو جعفر الطبرى ، مرجع سابق، 485/10 .

(4) مريم ، 33.

(5) آل عمران ، 51.

(6) مريم ، 30.

العبودية لربه).[1] والكتاب المقدس وخصوصا العهد القديم حافل بالأدلة والبينات التي تثبت التوحيد وأنه كان تعليما أساسيا للأنبياء والسابقين، وعقيدة التثليث التي تبناها المسيحيون فيما بعد ، ينعدم ذكرها في العهد القديم تماما، وإن كان بعض المسيحيين يحاولون إثباتها منه عبثا ، وتقول دائرة المعارف الكاثوليكية معترفة بهذه الحقيقة : لم تعلم عقيدة الثالوث المقدس في العهد القديم [2].

ولاريب أن يسوع لم يتصور ولم يخطر بباله أن يكون مظهراً للإله [3] ، فهو حسب المصادر النصرانية ولد من امرأة، وتربى وكبر مثل الأطفال الآخرين، وتوفي صلباً، وهو يشعر بالجوع، ويأكل ويشرب، وقد عذب واستهزئ به وأذل [4] ، فهل يناسب كل هذا إلهاً ، أضف إلى ذلك كيف خر عليه السلام وصلى ودعا واستعان بالله ، كل ذلك يدل على أنه كان عبداً عليه السلام ولم يكن رباً ، يناجى ربه ويبكى، وقد اعترف صراحة أنه إنسان في إنجيل يوحنا [5].

وما ورد في الأناجيل . أو بعض ما ورد فيها . عن تعليم عيسى عليه السلام ، يشهد حتى اليوم على ما ورد في القرآن الكريم، أو لنقل يشهد له القرآن الكريم ، ومن ذلك أنه عبد الله ونبيه عليه السلام وأنه أمر بني إسرائيل بعبادة الله .المذهب الآريوسي [6] كان يرفض إلوهية المسيح عليه السلام ويذهب إلى أن يسوع كائنٌ فان،

---

(1) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، مرجع سابق، 119/2.

(2) 306 . (p (14) وthe new catholic Encyclo paedia – vol

(3) القائل هو : آرنست رينان ، أحد كتاب سيرة عيسى المشهورين ، أنظر : ، المسيحية النصرانية ، ساجد مير، مرجع سابق ، (ص ، 98)

(4) أنظر مثلاً (إنجيل لوقا :إصحاح رقم (31:1) وإنجيل لوقا إصحاح رقم (40:2) وإنجيل لوقا إصحاح رقم (46:23) ، وإنجيل يوحنا (18:19) وإنجيل لوقا (15،14:22) وإنجيل لوقا : إصحاح رقم (23 :11)

(5) إنجيل يوحنا إصحاح رقم (40:8) .

(6) نسبه إلى أريوس (Arius) 336250م ، المولود في ليبيا ، وأسقف كنيسة بوكاليس في الاسكندريه ، وهو يعتبر من أشهر أعلام التوحيد المسيحي على الإطلاق في جميع العصور ، وقد كان له ألوف الأتباع الذين عرفوا بالآريوسين وبقي منهجهم التوحيدي حياً لفترات طويلة ، كما أصبح آريوس رمزاً للتوحيد .

ليس إلهاً بأي معنى، وليس سوى معلم يوحى إليه، وأن الله فرد غير مولود، ولا يشاركه شئ في ذاته تعالى ، وكل ما كان غير الله الأحد إنما هو مخلوق من لا شئ وبإرادة الله و مشيئته ، وقد سبقه إلى ذلك بطريك إنطاكية بولس السميساطى[1] . يقول د. آرنولد ميرى . أستاذ اللاهوت بجامعة زيورخ في كتابه (يسوع وبولس) مثبتاً أن إلوهية يسوع عليه السلام وعقيدة الكفارة كانتا عبارة عن عقائد ، ترجع أصولها إلى بولس وهو الذي ابتدعها : إن يسوع وتلاميذه لم يعرفوا شيئاً بشأن هذه العقيدة[2]. ويذهب على جومال إلى: إن الغرله المفقوده (The missing for eskin) تدل على أن يسوع لم يكن في صورة كاملة عندما ولد، وبناء عليه فكيف استطاع الرجل المعيب (غير الكامل) أن يكون مساوياً لله الكامل المنزه عن كل عيب [3].

ومما سبق ومن خلال القرآن الكريم يمكن تلخيص ما ورد على النحو التالي:

1. الأصل في المسيح عليه السلام أنه بشر وليس إلهاً ولا شبه إله حتى يقوم الدليل على خلافه، وعلى من يدعي تأليهه أن يقيم الدليل، حيث إن القائل بأنه بشر قائل بالأصل ودليله موفور، كما رأينا فيما سبق وأنه لا دليل لمن يحاول تأليه المسيح.

2. إن التناقض والتباين في النصوص التي تقول بتأليه المسيح عليه السلام . عند النصارى . تجعل من هذا الأمر مستحيلاً ادعاءً أو اعتقاداً.

3. الله أعلم بمن خلق، فبعد أن أثبتت النصوص القرآنية بشرية عيسى عليه السلام.

4. القول ببنوة المسيح عليه السلام هو قول الذين كفروا من قبل ، فقد قالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله ،وقد أخبرنا عز وجل عن ذلك بأنه

---

(1) الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام ، نهاد خياطة ، دار الأوائل ، دمشق ، 2002م ، (ص،81)

(2) انظر: ، الكتاب المقدس كلمة الله أم كلمة البشر ، علي خان جومال ، ترجمة : رمضان الصفناوى ، مكتبة النافذة ،(ص ، 100)، بدون.

(3) انظر الكتاب المقدس كلمة الله أم كلمة البشر، على خان جومال ، (ص ، 128) .

قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل، إذن فليست هذه العقيدة من تأسيس النصارى وإنما هي تقليد.

5. بين القرآن العقيدة الصحيحة التي يجب أن يعتقد بها الإنسان.

رابعا: قضية الصلب في القرآن الكريم

نفى القرآن الكريم دعوى اليهود والنصارى بقتل وصلب السيد المسيح: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1] فإن هذه الآيات تبين لنا أن عيسى التي يجب أن يعتقد أحس الكفر من اليهود، ومحاولتهم التآمر عليه (فمكروا)، ولكن مكر الله، والله خير الماكرين، فأبطل دعواهم ومؤامرتهم؛ لأنه أحكم وأقدر منهم.

وينفي سبحانه قتل وصلب السيد المسيح[2].فهو عليه السلام لم يقتل ولم يصلب ولكن شبه لهم به يقول البارى عز وجل: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ إتباع الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾، يعني ذلك من أدعى أنه قتل من اليهود، ومن سلمه إليهم من جهال النصارى كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال ولهذا قال: وما قتلوه يقينا، أي ما قتلوه متيقنين أنه هو بل شاكين متوهمين[3].

ولقد أحاطت العناية الإلهية السيد المسيح عليه السلام برفعه ﴿وقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[4] فهذه العناية الإلهية تتجلى في تلك الآيات.

ولا نعلم حقيقة الوفاة وكيف تمت ، كما لا نعلم كيفية الرفع إلى الله سبحانه وتعالى، فهي من الأمور الغيبية، التي يجب أن نؤمن بها، لأن القرآن قد أخبرنا عنها،

(1) آل عمران : 54-55 .

(2) النساء : 155-158 .

(3) أنظر تفسير القرآن العظيم لأبن كثير، مرجع سابق ، ص 439 .

(4) آل عمران : 55 .

أما الخوض فيها فلا يدخل في أحكام العقل البشري، وعلم تفاصيله عند العالم الخبير، وما يهمنا بعد ذلك أن نعلم أن المسيح لم يقتل ولم يصلب، ولكن الله رفعه له، فعلى المسلم الإيمان، والتصديق بذلك. ينفي القرآن الكريم قصة الصلب، ويجزم أن اليهود لم يقتلوا عيسى عليه السلام ولم يصلبوه، وفي ذلك يقول د. مونتجمرى : أول ما يلحظه القارئ أن هذه الآيات ليست هجوماً على المسيحية، و إنما هي دفاع عن المسيحية ضد اليهود ، فزعم اليهود أنهم قد قتلوا المسيح ، إنما هو زعم عار من الحقيقة، لأنه زعم ينطوي على نحو ما على معنى أن المسيحية دين زائف ، وهو ما رفضه الإسلام[1].والمسلم لا يجادل النصارى في كيفية الصلب الذي كان ، فالصلب كان في المصلوب الذي شبه لهم ، وهو واقع وقع لا في عيسى عليه السلام وإنما كما قال القرآن الكريم : (ولكن شبه لهم) وقد كان ذلك فتنة كبرى لمن شبه لهم وقوع الصلب على ذات المسيح، وهم الذين شهدوا هذا الصلب ، لكن المسلم يؤمن أنهم لم يقتلوه ولم يصلبوه، بل توفاه الله رافعاً إياه إليه ، سليماً معافى لم تهلك منه شعرة، ولم يخدش منه ظفر، جسداً حياً ولم يزل ، لا يموت إلا والساعة قريب ، حيث هو من أعلام الساعة وأشراطها عليه السلام ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[2]، وقد أنكر الله تعالى على اليهود أنهم صلبوه ، وأخبر أنه رفعه إليه.

(1) الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر ، د.مونتجمرى وات ، ترجمة د. عبد الرحمن عبد الله ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،(ص ، 115)، بدون .

(2) النساء ، 159

الخاتمة

انتهينا في غضون هذا العمل إلى استنتاجات عديدة استخلصناها من نظرتنا في النصوص السابقة وتعبر هذه الاستنتاجات – متى ألفنا بينها – عن نتائج قادتنا إليها مختلف المباحث المثارة والتي قام عليها العمل ، وعليه فقد توصلنا للنتائج الآتية :

1- إن ميلاد عيسى متقدم عن السنة الأولى ببضع سنوات، اختلف في مقدارها، ولكن الاتفاق على أنه لم يولد في السنة الأولى من الميلاد قطعا.

2- انفراد هذا الإنجيل بادعاء ألوهية المسيح بصريح العبارة .

3- إن سبب تدوين هذا الإنجيل كان استجابة لطلب الخدام والأساقفة من يوحنا بأن يكتب إنجيلاً يثبت فيه لاهوت المسيح وناسوته، وأنه كلمة الله التي حلت وتجسدت بينهم.

4- إن الإنجيل الأصلي الذي أنزل على عيسى عليه السلام قد فقد من النصارى ولا يعرفون له أثراً .

7- إن النصارى لما فقدوا الإنجيل الصحيح؛ كتبوا كتباً تقرب أو تبعد عنه ، وهي كتب بالعشرات ، وقد ابتدأ ذلك في العصور الأولى .

8- إن المسيح (عليه السلام) خلقه الله من امرأة بدون رجل، كدليل علي قدرته، فهو إنسان ومن جنس البشر، والآيات القرآنية صريحة وواضحة المعاني في ذلك.

9- إن التناقض والتباين في النصوص التي تقول بتأليه المسيح(عليه السلام) . عند النصارى. تجعل من هذا الأمر مستحيلاً ادعاً أو اعتقاداً.

10- المنهج العام الذي طغى على إنجيل يوحنا؛ هو منهج تبريري لاختيارات علماء النصارى في ذلك الوقت؛ لتأليه المسيح من جهة، وإقصائي لبعض الفرق والمذاهب الناشئة في زمن المسيح عليه السلام من جهة أخرى.

11- أقصى ما يمكن قبوله من هذا الإنجيل من أخبار؛ أن قسماً صغيراً منه يمكن أن تكون له أصول تاريخية، وليس من اليسير تحديدها لعدة اعتبارات منها: الهيئة التي وصلتنا عليها هذه المرويات، وما اعتراها من تغيير واضطراب رواية ومضامين ، وهو مما قد لا يوصلنا إلى نتائج يقينية في البحث تؤكد الحقائق المعرفية للدارس، وتجعله يطمئن إلى ما جاء فيه من أخبار.

قائمة المراجع

- القرآن الكريم.
- إنجيل يوحنا.
- البيرتون. ل. ماك، الإنجيل المفقود، دار الكلمة، ترجمة: محمد الجورا، سوريا ، ط2007،1م.
- أحمد عبد الوهاب ، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية ، مكتبة وهبة ، القاهرة.
- د. محمد علي زهران ، انجيل يوحنا في الميزان ، دار الأرقم للنشر ، مصر، 1991م.
- عبد الفتاح حسين الزيات ، ماذا تعرف عن المسيحية ، ط3 ، مركز الراية للنشر والإعلام ، 2001م
- د. فردريك كالفتين جرانت ، الأناجيل أصلها وتطورها ، طبعة لندن، بدون تأريخ.
- أحمد طاهر ، الأناجيل دراسة مقارنة ، دار الأرقم ، القاهرة ، ط1، 1412م.
- رحمة الله خليل الرحمن الهندي ، إظهار الحق المكتبة التوفيقية ، ج1 بدون تأريخ.
- يوسابيوس القيصري ، تاريخ الكنيسة ، ترجمة : مرقس داود ، طبع ؛ ماهر نسيم. بدون تأريخ.
- د. محمد شلبي شتيوي ، مقارنة الأديان ، الإنجيل دراسة وتحليل ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ، ط1 ،1984م
- د.عرفان عبد الحميد فتاح ، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها ، ط1 ، 2000م.
- البابا شنودة الثالث ، لاهوت المسيح ، والكتاب يدرس على طلاب الكليات الاكليريكية .
- مجموعة مؤلفين ، دراسات في إنجيل يوحنا ،lejesus.co.nr www.Servant(بدون تأريخ)
- ألآب متى المسكين ، ماهية المسيح ، دير القديس أنبا مقادر بدون تأريخ.
- الأجوبة الجلية في الرد على الأسئلة المسيحية، الحسين معدي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة، ط2001،1م
- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، شركة ماستر ميديا.
- جيب ، علم الأديان و بنية الفكر الإسلامي، ترجمة : د.عادل العوا، منشورات عوايدات ، بيروت، ط 1 ، 1977م.
- معاذ عليان، عبادة مريم في المسيحية والطهورات المريمية، مكتبة النافذة .
- د. أحمد شبلي، المسيحية ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960م،
- أبي زكريا النووي، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، المطبعة المنيرية.

- السيد محمود الالوسي البغدادي ، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع الثماني ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (ت1270هـ)،ط4/ 1985م
- عبد الوهاب النجار ، قصص الأنبياء ، مؤسسة الحلبي للنشر، سنة 1966م
- محمد على الصابوني ، صفوة التفاسير ، دار القرآن الكريم، بيروت، ط1/ 1981م، 18/1.
- أبي عبد الله القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، ، ط2، (ت6761هـ)
- محمد متولي الشعراوى ، مريم والمسيح ، مكتبة التراث الإسلامي ، بدون تاريخ.
- نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، دار الأوائل، دمشق ، 2002م.
- علي خان جومال، الكتاب المقدس كلمة الله أم كلمة البشر، ترجمة: رمضان الصفناوى، مكتبة النافذة
- د.مونتجمرى وات، الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، ترجمة د. عبد الرحمن عبد الله ، الهيئة المصرية العامة للكتاب